الحلقة 2

إعداد: هشام المنشاوي

آل ياسر صبروا على الأذى والحرمان الذي لاقوه من قومهم

سمية بنت الخياط.. أول شهيدة في الإسلام

الإسلام أكرم المرأة أيما إكرام، بنتاً كانت زوجاً أو أمّاً، أو أختاً، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من النساء اللائي كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية كحواء وأم موسي وزوج فرعون و مريم بنت عمران، ونزلت آيات من القرآن في عدد من النساء وأفردت من القرآن للنساء سورتان هما سور النساء وسور الطلاق، وتحدث القرآن عن المؤمنات اللاتي جئن إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم مبايعات أو مهاجرات كما بينته صورة الممتحنة، وما ذاك إلاّ لأن للمرأة دوراً كبيراً في المجتمعات .

إن المرأة المسلمة تقع تحت ضغوط تكاد تبعدها عن منابع الإسلام الأولي وتحول بينها وبين تفهم رسالته، لهذا كان علي المرأة المسلمة: أن تتعرف علي نساء الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم، بمعرفة سيرهن وأخبارهن، لتدرك الحال التي كن عليها ولتجعل منهن قدوة حسنة ومشاعل تنير أمامها الطريق وستجد الأخت المسلمة بين دفتي هذا البحث أربعين نموذجاً من سير الصحابيات الجليلات اللاتي صحبن فجر الدعوة وشاركن فيها وارتفعن بالإسلام إلي آفاق سامية ما كن يستطعن الوصول إليها لو لا صدق الإيمان وإخلاص العمل، لقد كانت كل واحدة منهن مثالاً قديراً لمن أيّد الدعوة وحمل الراية، ودافع عن الحق ووقف كالطود الشامخ من حول رسول الله صلي الله علين وسلم يؤيده ويناصره وعسي أن يكون في هذا السلسلة من الحلقات التي تقدمها جريدة "الوسط" ما يقود خُطا النساء والمسلمين علي طريق الإيمان، ومما يذكرهن بحياة تلك النسوة اللائي هانت عليهن في سبيل الله المكاره وأفضي يقين الإيمان إلي قلوبهن وسيطر علي نفوسهن وعقولهن، فآثرن الآجل علي العاجل والدائم علي الفاني، ففزن برحمة الله ورضوانه.

المرأة في عصرنا هذا قد إبتعدت كثيراً عن الكتاب والسنة وما كانت عليه الصحابيات رضي الله عنهن ونساء فجر الإسلام اللاتي لا يتحدثن مع أجنبي إلا من وراء حجاب في الأمور الضرورية ولا يخضعن بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض .

اذا نظرنا لأي مجتمع في الوجود نجد بأنه يتكون من الرجال والنساء، ولكل دوره ومكانته الإنسانية والقيادية والاجتماعية وعلى هذا فإن المجتمع الذي كوّنه النبي صلى الله عليه وسلم كان مجتمعا مثاليا وساميا بمعنى الكلمة، فهو المربي الرباني الأول، والصحابة رباهم القرآن التربية الإيمانية الكاملة التامة، فأخلصوا لدينهم وأحبوا مربيهم، فكانت الإنجازات الباهرة في فترة محدودة وعلى جانب آخر برز لنا دور النساء والمساند لدور الرجال، إما أمهات أو زوجات أو بنات أو أخوات تربوا على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلمن وكانوا خير معين للصحابة الكرام في جميع المجالات: العلمية منها، والجهادية (القتالية)، والطبية...فظهرت الفقيهات منهن والمقاتلات والطبيبات...وعلى كافة الأصعدة، وتميزن برجاحة العقل وصواب الرأي، فهن بهذا يستحقنَّ بأن يكنَّ قدوة ساطعة عبر التاريخ لمن بعدهن. فجاء هذا الكتاب، ليسلط الضوء على النساء الجليلات اللاتي ساندن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين . لقد نزل الإسلام دينًا حسنًا يُدافع عن المظلوم دون النظر إلى جنسيته وعرقه وجنسه ومنشئه فالإنسان هو الإنسان من أيّ أرض كان، وما زال يعتني بالمرأة حتى كانت وصية رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– قبل موته لأصحابه فهنّ القوارير ولكن مع الانفتاح العالمي والتأثر بالعالم الغربي بدأت تتشكل حول العيون الإسلامية بعض الغشاوة في أنّ القانون الغربي يرفع من شأن المرأة .

- صور الصراع بين الحق والباطل ممثلة في هذه الصحابية الشريفة
- سمية من الأولين الذين دخلوا في الاسلام وسابع من اعتنقوه بمكة
- قال النبي محمد لابنها عمار بن ياسر قتل الله قاتل أمك

موقع معركة احد

البشر أفراد وجماعات يتشابهون في الأفعال والصفات عبر التاريخ. فالتاريخ جملة واحدة، ترتكز على الصراع بين الحق والباطل، لا يتغير جوهرها من جيل إلى جيل، ولا من زمن إلى زمن، وحدها الوجوه والأشكال هي المتغيرة. فمرة يزول الباطل ويعلو الحق. ومرة تدب الحياة في أوصال الباطل. وهكذا تعاد الكرة حتى تنتهي الحياة!!

بين أيدينا صورة من صور الصراع بين الحق والباطل، ممثلة في صحابية شريفة عاشت في زمانها عمرا قصيرا، لكن فصول التاريخ حملتها إلينا ملهمة دائمة للمرأة المسلمة في كل زمان ومكان، ومثالا ناصعا على الانتصار بالله، والاعتزاز بالانتساب إلى دينه، تهون عليها الحياة ولا يهون دينها.

سمية بنت الخياط، هي أم عمار بن ياسر، أول شهيدة استشهدت في الإسلام، وهي ممن بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهي من المبايعات الصابرات الخيرات اللاتي احتملن الأذى في ذات الله.

كانت سمية من الأولين الذين دخلوا في الدين الإسلامي وسابع سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة بعد الرسول وأبي بكر الصديق وبلال وصهيب وخباب وعمار ابنها. فرسول الله – صلى الله عليه وسلم– قد منعه عمه عن الإسلام، أما أبو بكر الصديق فقد منعه قومه، أما الباقون فقد ذاقوا أصناف العذاب وألبسوا أدراع الحديد وصهروا تحت لهيب الشمس الحارقة. عن مجاهد، قال: أول شهيدة استشهدت في الإسلام سمية أم عمار. قال: وأول من أظهر الإسلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وأبو بكر، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وسمية أم عمار.

زواجها: كانت سمية بنت خياط أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، تزوجت من حليفه ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي. وكان ياسر عربياً قحطانياً مذحجيًا من بني عنس، أتى إلى مكة هو وأخويه الحارث والمالك طلباً في أخيهما الرابع عبد الله، فرجع الحارث والمالك إلى اليمن وبقي هو في مكة. حالف ياسر أبا حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتزوج من أمته سمية وأنجب منها عماراً، فأعتقه أبوحذيفة، وظل ياسر وابنه عمار مع أبي حذيفة إلى أن مات، فلما جاء الإسلام أسلم ياسر وأخوه عبد الله وسمية وعمار . تعذيب المشركين لآل ياسر: عذب آل ياسر أشد العذاب من أجل اتخاذهم الإسلام ديناً الذي أبوا غيره، وصبروا على الأذى والحرمان الذي لاقوه من قومهم، فقد ملأ قلوبهم بنور الله–عز وجل– فعن عمار أن المشركين عذبوه عذاباً شديداً فاضطر عمار لإخفاء .إيمانه عن المشركين وإظهار الكفر وقد أنزلت آية في شأن عمار في قوله عز وجل: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان. وعندما أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال:ما وراءك؟ قال : شر يا رسول الله! ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير! .قال: كيف تجد قلبك؟ قال : مطمئناً بالإيمان. قال : فإن عادوا لك فعد لهم. هاجر عمار إلى المدينة عندما اشتد عذاب المشركين للمسلمين، وشهد معركة بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان والجمل واستشهد في معركة صفين في الربيع الأول أو الآخر من سنة سبع وثلاثين للهجرة، ومن مناقبه، بناء أول مسجد في الإسلام وهو مسجد قباء .

وقد كان آل ياسر يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة وكان الرسول الله – صلى الله عليه وسلم– يمر بهم ويدعو الله –عز وجل– أن يجعل مثواهم الجنة، وأن يجزيهم خير الجزاء. عن ابن إسحاق قال: حدثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام، وهي تأبى غيره، حتى قتلوها، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فيقول: صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة . وفاتها: نالت سمية الشهادة بعد أن طعنها أبو جهل بحربة بيده في قُبلها فماتت على إثرها.وكانت سمية حين استشهدت امرأة عجوز، فقيرة، متمسكة بالدين الإسلامي، ثابتة عليه لا يزحزحها عنه أحد، وكان إيمانها الراسخ في قلبها هو مصدر ثباتها وصبرها على احتمال الأذى الذي لاقته على أيدي المشركين . مصير القاتل: أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، ويكنى بأبي الحكم. كان من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم أذى لهم. وقد لقبه المسلمون بأبي جهل لكثرة تعذيبه المسلمين وقتله سمية، ولكن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل.

قتل أبو جهل في معركة بدر الكبرى، حيث قاتل المسلمون المشركين بأسلوب الصفوف، بينما قاتل المشركون المسلمين بأسلوب الكر والفر. طعن أبا جهل على يدي ابني عفراء، عوف بن الحارث الخزرجي الأنصاري، ومعوذ بن الحارث الخزرجي الأنصاري، رضي الله عنهما، ولكنه لم يمت على أثر طعناتهما بسبب ضخامة جسده، ولأن ابني عفراء كانا صغيرين بالسن، لكنه لفظ نفسه الأخيرة على يد عبد الله بن المسعود الذي أجهز عليه. ولقد استشهد ابنا عفراء في هذه المعركة رضي الله عنهما .

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم! أرني أبا جهل! فقلت يا ابن أخي! ما تصنع به؟! قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. قال لي الأخر سراً من صاحبه مثله، فأشرت لهما إليه، ((فشدا عليه مثل الصقرين،فضرباه حتى قتلاه)).

((بعد مقتل أبا جهل، قال النبي صلى الله لعمار بن ياسر قتل الله قاتل أمك)) .

كانت السيدة سمية ممن بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهي من المبايعات الصابرات الخيرات اللاتي احتملن الأذى في ذات الله، وكانت من الأولين الذين دخلوا الإسلام، فهي سابع سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وبلال وصهيب وخباب وعمار ابنها رضي الله عنهم. ولسمية صورة مشرقة في البطولة، ووجه صلد على الهوان، وروح عظيمة لا تنكسر أمام الابتلاء والاضطهاد، حيث لم يكن لها أحد يمنعها أو يحميها من المشركين؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم، منعه عمه، وأبوبكر الصديق منعه قومه، أما هي والباقون فقد ذاقوا أصناف العذاب وألبسوا الدروع الحديدية وصهروا تحت لهيب الشمس الحارقة. كانت السيدة سمية بنت خياط أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، تزوجت من حليفه ياسر ابن عامر بن مالك بن كنانه بن قيس العنسي، وكان ياسر عربياً قحطانياً مذحجيًا من بني عنس، أتى إلى مكة هو وأخويه الحارث والمالك طلباً في أخيهما الرابع عبد الله، فرجع الحارث والمالك إلى اليمن وبقي هو في مكة. حالف ياسر أبا حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتزوج من أمته سمية، وأنجب منها عماراً، فأعتقه أبوحذيفة، وظل ياسر وابنه عمار مع أبي حذيفة إلى أن مات، فلما جاء الإسلام أسلم ياسر وأخوه عبد الله وسمية وعمار. حين أسلم آل ياسر عذبهم المشركون أشد العذاب من أجل اتخاذهم الإسلام ديناً، وصبروا على الأذى والحرمان الذي لاقوه من قومهم، فقد ملأ قلوبهم بنور الله– عز وجل– فعن عمار أن مشركي بنو خزامة عذبوه عذاباً شديداً، فاضطر عمار لإخفاء إيمانه عن المشركين وإظهار الكفر، وقد أنزلت آية في شأن عمار في قوله عز وجل: "مَنْ كَفَرَ بِاللّه مِنْ بَعْدِ إِيمَانِه إِلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ.."النَحلَ(106)،رَواه الطبري فَي تَفسَيرهَ، وورد في فقه السيرة للغزالي، وأعله الألباني في تخريجه بالإرسال.

وحينما يأتيه الرسول صلى الله عليه وسلم ويسأله: ما وراءك؟ فيقول عمار وهو يبكي: شر يا رسول الله! ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير!. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان. قال: فإن عادوا لك فعد لهم" رواه الطبري في تفسيره، ونقله عنه ابن كثير وقال: رواه البيهقي بأبسط من ذلك، وقال ابن حجر: مرسل ورجاله ثقات.

ظلت سمية رضي الله عنها مع الفئة المؤمنة، يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، وكان رسول الله يمر بهم ويدعو الله –عزوجل– أن يجعل مثواهم الجنة، وأن يجزيهم خير الجزاء، وتبقى سمية تحت العذاب ومحاولات مستميتة لردها عن دينها، لكن رحمة الله بها أمكنت الإيمان من قلبها، فهانت روحها، ولم يهن دينها، وإذا بالفاجر أبي جهل يرميها بحربة في موطن عفتها، ولم يرحم ضعفها كإنسان، ولم يرحم ضعفها كامرأة، كما لم يرحم ضعفها ولا عجزها كامرأة مسنة لا تقوى على العذاب. نالت سمية الشهادة بعد أن طعنها أبو جهل بحربته، لتكون أول شهيدة في الإسلام، لتكون سيرتها رسالة لبنات جنسها على مر الأيام والسنين، للشد على دينهن بكل ما يمكن، فلا يوجد أغلى من الدين. لم تنته قصة سمية بموتها، فبقي الجزء الآخر المتعلق بقاتلها أبي جهل لعنه الله، الذي لقي جزاءه في غزوة بدر الكبرى، حين طعنه شبلا الإسلام معاذ بن الحارث، وأخوه معوذ بن الحارث، ولكنه لم يمت على أثر طعناتهما بسبب ضخامة جسده، لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة على يد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أجهز عليه. هل ذكرتك سمية بحدث أو أحداث مشابهة في زماننا؟.. إن حملت لك سيرتها مشاهد وذكريات لأحداث تراها في الشاشات، فدعني أذكرك بمقولة النبي صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر، بعد مقتل عدو الله أبي جهل: "قتل الله قاتل أمك ياعمار" رواه ابن سعد، ووصف ابن حجر سنده بالصحيح. الخاتمةك سمية بنت الخُياط هي من أهم المجاهدات المسلمات اللواتي احتملن الأذى والعذاب، الذي كان يلقاه المسلمون على أيدي المشركين في ذلك الوقت. وهي ممن بذلوا الغالي والنفيس في ذات الله تعالى.

كان إيمانها القوي بالله تعالى هو سبب ثباتها على الإسلام ورفضها ديناً غيره، فقد وقر الإيمان في قلبها وذاقت لذته وأيقنت أنه فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، فوكلت أمرها إلى الله تعالى محتسبه وصابرة أن يجزيها الله تعالى خيراً على صبرها ويعاقب المشركين، ونستشف من قصة سمية أن الله سبحانه وتعالى يمهل، ولا يهمل وأنه مهما طال الأمد، فإن كل إنسان سوف يأخذ جزاءه عاجلاً أم أجلا

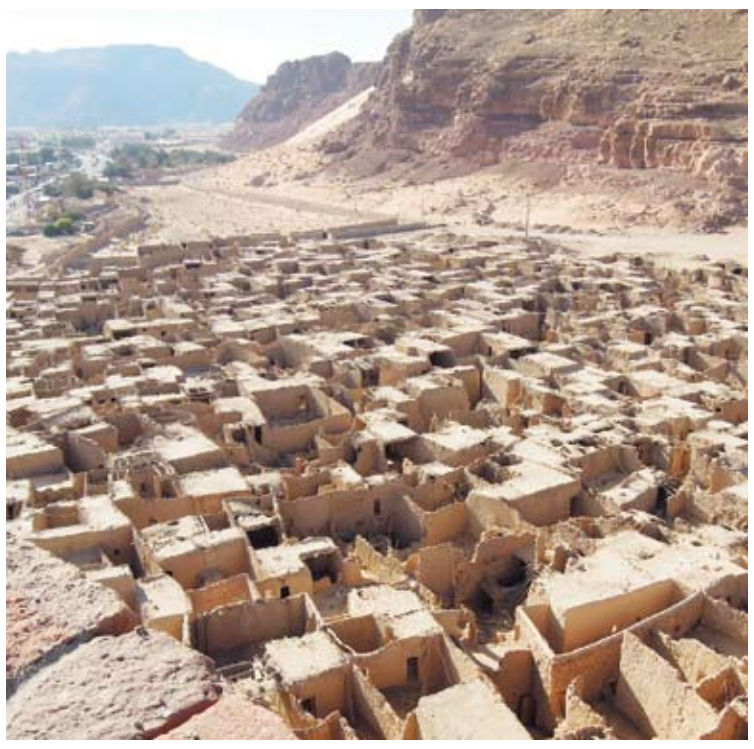

الآثار في منطقة المدينة المنورة

احد جبال المدينة المنورة

حطمت داعش مقام عمار بن ياسر في الرقة

عذبت كثيراً حتى لاقت ربها على الاسلام